Coptology
Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

# الإستنساخ
# والتسليم الرسولي

دكتور
جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

www.coptology.org

"الاستنساخ"، الكلمة والفعل هما من ثقافتنا المعاصرة، حيث يتم في المعامل استنساخ الخلايا الجذعية stem وأحياناً تحديث نوع جديد من الخلايا، يمكن زرعه في الأعضاء الإنسانية التي تحتاج إليها لكي تنمو وتحل محل الخلايا سبب المشاكل.

تذكرت هذا وأنا أدرس أطروحة الكاتب السوري أدونيس "الثابت والمتحول، بحثٌ في الإبداع والاتباع عند العرب"، وهي رسالة الدكتوراه التي قُدِّمت في الجامعة اليسوعية في لبنان. ولست هنا بصدد عرض ما ذكره أدونيس، بل أستعير ذات السؤال الذي طرحه أدونيس، ولكن في مجال التسليم الرسولي للإيمان: ما هو الثابت وما هو المتحول؟

تاريخياً، الإيمان هو الثابت، والمتحول هو التأويل.

الثالوث، عقيدةٌ ثابتة، ولكن استخدام مصطلحات لم ترد في أسفار العهد الجديد، كان بمثابة المتحول لمواجهة احتياجات كلِّ عصر، والمثال على ذلك استخدام تعبير "الواحد مع الآب في الجوهر"، أو الصياغة التي صارت من علامات الأرثوذكسية: "جوهر واحد وثلاثة أقانيم". فالمتحول هنا أو التأويل، هو البحث عن كلمات محددة لا تسمح بانتشار الهرطقات.

## مرحلة تعريب تراثنا اللاهوتي في العصر الحديث:

يعود الفضل في ذلك إلى الأب متى المسكين، منذ صدور كتاب "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، وما تلاه من دراسات صارت بمثابة العمود الفقري في المكتبة المسيحية

العربية، التي خرجت بذلك من معتقل العصر الوسيط الى رحابة العصر الحديث والنظرة العالمية إلى تراث المسيحية. وفي هذا الإطار، لا ننسى الأخوة والأخوات الذين قدَّموا ترجمات عربية وأحياناً دراسات، شقُّوا بها طريقاً في وسط صخر الإهمال وترصُّد الأخطاء وحشد الغوغاء الذين لا يعرفون عن تراثنا السكندري، ولا يعرفون عن الآباء إلا الأسماء فقط. وهكذا أصبح لدينا لأول مرة "حوار عن الثالوث"، و"الكنوز في الثالوث" للقديس كيرلس الكبير، وكان الكتابان قد غابا معاً عن فكر وكتابات العصر الوسيط القبطي التي تبدأ بالأسقف ساويروس أسقف الأشمونين.

لكن، يجب التحذير من استسهال الاستنساخ والتأويل؛ لأن الآباء لم يواجهوا – على سبيل المثال، لا الحصر– موجة الإلحاد الوافدة من أوروبا. وإن كان العلَّامة أوريجينوس هو أول مؤسِّس لعلم "نقد النصوص" بنشره كتب العهد القديم بالعبرانية ثم اليونانية في ثلاث ترجمات، كانت اللغة اليونانية فيها مكتوبةً بالحروف العبرانية، ونحن نتكلم عن هيكسابلا أوريجينوس، أو المخطوطة السداسية، التي امتنع النساخ عن نساختها نظراً لكبر حجمها، فضاع قسمٌ كبيرٌ منها، ففي العصر الحديث صدرت الطبعات النقدية التي وضعت هوامش وحواشٍ تحتوي على كل ما اكتُشِف من مخطوطات يونانية لأسفار العهد الجديد. وأصبح لدينا اليوم أكثر من ذي قبل، القدرة على قراءة نصوص العهد الجديد بصورة واضحة، لم تكن متاحة من قبل.

## حملة الجهل والتشويش:

لكن، لسببٍ أو لآخر، أصبح لدينا هواجس نابعةٌ من الجهل بأساس المسيحية الراسخ، وهو استعلان الله الكلمة في جسد بشري. وقد جاء رفض الإنسان لهذا الاستعلان عبر هرطقات المانوية والغنوسية بالشك في قيمة الحياة الإنسانية، الأمر الذي أدَّى إلى إهمال الخطاب عن تجسد الله الكلمة، وهكذا انزوى الإنسانُ –وهو مركز هذا الاستعلان الأساسي– في زاويةٍ مجهولةٍ، وبالتالي صارت لدينا القدرة على صياغات فكرية تعبِّر عن إنكار الإنسان أولاً بمحاصرة حرية الفهم بالخوف من الهرطقات، وثانياً بصياغة

اتهامات نابعة من الخيال، لا من التاريخ الكنسي نفسه، وثالثاً، وهو الأخطر، اعتبار شخصٍ ما -مهما كان هذا الشخص- هو المرجعية الوحيدة التي يُختَزَل فيها التاريخ الكنسي كله، وكأن ما ذكره أو كتبه هذا الشخص هو الحق المطلق، وساد علينا سباتٌ عجيب وغريب، أنسانا أن الحق المطلق هو من قال عن نفسه: "أنا الحق"، وهو الرب يسوع المسيح.

## استنساخ الفكر الإنجيلي بدون تمييز:

أسمع وأقرأ عن "عصمة الكتاب المقدس" نقلاً عن الفكر الإنجيلي الأوروبي الذي أراد إنكار "عصمة البابا الروماني"، فاستنسخ عصمة أسفار الكتاب المقدس، واستبدل الأولى بالثانية. وإذا سألنا: عصمةٌ من أي شيء؟ تحول السؤال نفسه إلى اتهام بأن مَن يسأل يُنكر الوحي. وهذا غير صحيح بالمرة، لأن الوحي ليس هو التنزيل، لأن الدين الوحيد الذي ينادي بالتنزيل هو الإسلام، والتنزيل خاصٌّ به. ولكن جاء علينا زمانٌ أصبحت فيه ترجمة فان ديك للعهدين تنزيلٌ من التنزيل، رغم أن أي ترجمة، مهما كانت، لا يمكن أن تصل الى درجة العصمة؛ لأن اختيار كلمة عربية تقابل كلمة عبرانية أو يونانية أحياناً يكون غير كاف، بل وغامض أيضاً. والمثال الواضح على ذلك هو كلمة "بر"، فالأصح عربياً -حسب الأصل العبراني واليوناني، بل والقبطي- هو "الحق"، أو "الصواب"، أو "ما هو صحيح". بل، عندما تساءلنا عن صحة استخدام كلمة "عدل" لله، تقاطرت علينا الاتهامات. وإذا بحثنا عن أصل كلمة "عدل" في المزامير القبطية بالذات، تبين لنا أنها "حق"، وغنيٌّ عن البيان أن الخلاص بحق الله، هو طريقٌ آخر مختلف عن الخلاص بعدل الله، فالأول يقود الى صلاح الله، بينما يقود الثاني إلى سيادة الشريعة على الله نفسه، بل وعلى التدبير كله في يسوع المسيح، الأمر الذي كشف عن نفسه في التعليم بدفع ثمن خطايا البشرية للآب، وكأن الآب وحده هو الخالق الذي يطلب حقه! وهكذا دخلت نصوص شريعة اللاويين والتثنية في شرح دفع ثمن الخطايا، على الرغم من أن الشريعة الموسوية لم توضع للخالق، بل للإنسان.

## استنساخ جماعات الإرهاب المسلح:

يجب أن نشكر الرب يسوع على أنه لم يؤسِّس لسفك الدم، ولم يقبل تجريد السيف للدفاع عنه في البستان ليلة القبض عليه، لكن حشد الأتباع وخلق جماعات مسلحة بالشتائم والاتهامات، وطلب الطرد والقطع من شركة الكنيسة أو المنع من الخدمة، هو سلاح الذين أكدوا لنا نظرية فرويد، وهي أن المظلوم يتخذ من شكل وتصرفات الظالم صورةَ الدفاع عن نفسه؛ لكي يجد له مكاناً في الحياة. أذكر حديث أحد الأطباء الذي زار اسرائيل وعلَّق على صورةٍ لحرس مبنى البرلمان الإسرائيلي، وقال إنهم يقفون بنفس الشكل في وضع الاستعداد الذي عُرف عن جيش النازية. فالمضطَّهَد يتبنى عقل وتصرفات من يضطهده فيجد في هذا دفاعاً عن نفسه وعن حياته. كم هو "مقرف" لأي نفسٍ حرة، مشاهدة الهجوم أو قراءة مقالات تُكتب ضد هذا أو ذاك. وأحياناً يظن الشتامون أن السكوت عن الرد هو قبولٌ للاتهام، وأحياناً يكون الرد مطلوباً ولكن الاستنساخ يدمر ثلاثة جوانب لحياة الكنيسة:

**الجانب الأول**: هو الكهنوت نفسه الذي أمسك بعصا القوة لا بمنديل الخدمة، فصارت الخدمة سلطاناً يمارَس على الرب نفسه. مَن أنت يا من تمنع إنساناً من التناول؟ هل فعلاً لديك السطان لأن تفعل ذلك؟ الهرطقة وحدها وليست إفرازات الجسد، أو حتى عدم الصوم، يمنعان من التناول.

**الجانب الثاني**: محاصرة التعليم بالنصوص والويل لمن يُعارِض أو يكتب شيئاً ولو جديداً في ذات النسق الذي سار عليه الآباء.

المسيحيةُ ليست ديانةَ كتابٍ، بل تعليم الكلمة المتجسد والأسفار المقدسة هي شهادةُ مَن رأى وعاش وكتب من تلاميذ الرب.

وصلني سؤال: هل لدينا نفس المخطوطات التي كتبها متى ومرقس ولوقا ويوحنا؟ ويبدو السؤال هاماً، ولكنه أسخف سؤال؛ لأن عمر ورق البردي وجلود الحيوانات مرهونٌ

بالبيئة نفسها وبظروف الحياة من حرق وتدمير، وكانت أسفار العهد الجديد تُدمَّر بسبب تقوى الراباي غمالائيل الصغير بعد المجمع اليهودي الذي عقد حوالي سنة ٩٥ في قرية "يمنة" خارج غزة. ولكن لا زالت مخطوطة قديمة، هي أقدم مخطوطات السبعينية عُثِر عليها في مجمع بن عزرا في مصر القديمة، حيث أزال الناسخ النص اليوناني ليكتب فوقه النص العبراني بعد أن مُنعت قراءة السبعينية في مجامع الشتات.

المخطوطات ليست شهادة، رغم القيمة التاريخية، بل حياة الجماعة هي الشهادة. الصلاة والاجتماعات والحياة اليومية المسيحية كانت هي "عامود الحق" وقاعدته حسب تعبير رسول المسيح.

المسيحية لم تؤسَّس على شريعة، بل على شخص يسوع، وهو المعصوم وحده، وشهادات واعتراف الذين سمعوه وشاهدوه، هي المصدر الذي جعلهم شهودَ حياةٍ، وشهودَ شركة في حياة الله.

وعندما حاولت الثقافة المعاصرة أن تهدم عبارة القديس أثناسيوس: "صار الله إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً"، نسى المهاجمون والمدافعون معاً **أن تأله الإنسان يعني أن الإنسان أصبح له ذات مصير ومكانة الله الكلمة المتجسد، وهو غاية بشارة الفرح، أي الإنجيل.** وكان المشاغبون قد عادوا إلى نصوص الشريعة مثل: "لا يكن لكم آلهة أخرى أمامي"، وهي خاصة بتحريم الوثنية، ولكنهم حولوا تلك النصوص إلى سلاح يبتر الإنسانية الجديدة في المسيح يسوع. ولا زال البعض يسأل: هل هي "شركة الطبيعة الإلهية"، أم "في الطبيعة الإلهية"، وجعلوا من حرف الجر قاضياً يحكم في مصير الإنسان، تماماً مثل هل هو "حسب صورة الله"، أو "على صورة الله"، وهكذا عادت الشريعة ودقة حروف الجرف لكي تمسح مكانة الإنسان عند الله، وكأن كلمات مثل "حسب" أو "على" هي المفتاح الوحيد، بينما تناسوا طبيعة الإنسان وقدراته، لا سيما المحبة والحرية والإبداع، وهي من مكونات الصورة الإلهية فينا، وصار كل هذا تحت وصاية حروف الجر أو قواعد اللغة. فهل سبقت قواعد اللغة علاقة الله بالإنسان؟ بكل تأكيد لا. صحيح أن

قواعد اللغة ضــرورية للفهم، ولكنها لا تملك أن تشــرح عبارة من كلمتين: "الله محبة"، أو "هكذا أحب الله العالم".

تُرى هل ســتفلت حركة اســترداد التراث من الولاء والبراء؟ من اســتنســاخ ما اســتطاع الإرهاب الدموي أن يحشــره في حياتنا الاجتماعية؟ مَن يؤمن بالمســتقبل الآتي حتماً لا يحيا في ظلال الماضــي، بل يســتلهم الماضــي لكي يســير إلى الأمام، إلى الأمام ناظرين إلى رئيس الإيمان الذي أعلنه كاملاً يسوع المسيح ربنا.

د. جورج حبيب بباوي